بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــرح

ريـــاض الصالحيـــن

للإمام النووي رحمه الله (ت ٦٧٦) .

باب المجاهـدة

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على الإنترنت – مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net

١١- باب في المجاهدة

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ [الحجر : ٩٩] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾ [المزمل : ٨]: أي انْقَطِعْ إِلَيْه، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة : ٧] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً** ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٧٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

- قَالَ الله تَعَالَى (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين**) .

قال ابن كثير : (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**) يعني: الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين (**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**) أي: لنُبَصرنهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة.

وقال ابن القيم : علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً ، وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد ، قال الجنيد : والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة ، لنهدينهم سبل الإخلاص ، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه .

- وَقالَ تَعَالَى (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين**) .

هذا أمر للنبي ﷺ أن يعبد ربه حتى يأتيه الموت .

قال السعدي : أي استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات ، فامتثل ﷺ أمر ربه ، فلم يزال دائباً في العبادة ، حتى أتاه اليقين من ربه . (تفسير السعدي) .

فالمراد باليقين هنا : الموت ، والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) .

وفي الصحيح : عن أم العلاء –امرأة من الأنصار – (أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون –وقد مات – قلت : رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، فمن؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير . (تفسير ابن كثير) .

قال الحسن البصري : إنَّ الله لمْ يجعلْ لعملِ المؤمنِ أَجلاً دونَ الموتِ ثُمَّ قرأ (واعبد ربك حتى يأتيكَ اليقين) .

- وَقالَ تَعَالَى (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**) : أي انْقَطِعْ إِلَيْه .

(**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**) شامل لأنواع الذكر كلها (**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**) أي : وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور .

فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وما يقرب إليه، ويوفي من رضاه .

فالمراد بالتبتل هنا : الانقطاع للعبادة ، فالتَّبَتُّل : الانقطاع إلى الله في العبادة وإخلاص النيّة انقطاعاً يختصّ به.

وأما التبتل المنهي عنه كما جاء عن النبي ﷺ أنه نهى عثمان بن مظعون عن التبتل ، فالمراد به الانقطاع عن الزواج والامتناع عن طيبات الحياة الدنيا وما أباحه الله فيها .

قال القرطبي : يقال : بتلت الشيء أي قطعته ، ومنه قولهم :طلقها بَتّةً بَتلة ، وهذه صدقة بتة بتلة ؛ أي بائنة منقطعة عن صاحبها ؛ أي قُطِع ملكه عنها بالكلية ؛ ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ، ويقال للراهب متبتّل ؛ لانقطاعه عن الناس ، وانفراده بالعبادة.

- وَقالَ تَعَالَى (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه**) .

في هذا الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً ، لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحقر الأشياء ، وجوزي عليها ، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى ، كما قال تعالى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) وقال تعالى (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) .

- وَقالَ تَعَالَى (**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً**) .

أي : وما تقدموا – أيها المؤمنون – لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا ، وأعظم منه ثواباً ، أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه .

- وَقالَ تَعَالَى (**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيم**) .

(**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ**) قليلاً كان أو كثيراً (**فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيم**) أي: لا يخفى عليه شيء منه ، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة ، أحوج ما يكونون إليه .

قال الثعالبي : ينبغي للفقيرِ أنْ يتعفّف في فَقْره ، ويكتفي بعلْمِ ربّه ، قال الشيخُ ابن أبي جَمْرة : وقد قال أهْلُ التوفيق : مَنْ لَمْ يَرْضَ باليسيرِ ، فهو أسير .

٩٥–وأما الأحاديث : فالأول : عن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ : مَنْ عادى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)) رواه البخاري .

((آذَنْتُهُ)) : أعلمته بأني محارِب لَهُ . ((اسْتَعَاذَنِي)) روي بالنون وبالباءِ .

(**عادى**) أي آذى .

(**ولياً**) الولي : هو المؤمن التقي كما بينه الله بقوله (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

(**آذنته**) أعلمته .

١– قوله (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) فيه فضيلة أن يكون الإنسان ولياً من أولياء الله .

وولاية الله ليست بالدعاوى والكلمات وإنما بالعمل وبشروطها :

أولاً : الإيمان بالله .

ثانياً : تقوى الله .

قال تعالى (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

٢- قوله (فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) فيه تحريم معاداة أولياء الله ، والمعنى : فقد أعلمته أني محارب له .

فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم ، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) .

وقال تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

ومن صفات أولياء الله كما قال تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) .

٣- قوله (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ) فيه أن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه الفرائض .

فالصلاة الفرض أفضل من الصلاة النفل ، والصوم الفرض أفضل من الصوم النفل وهكذا .

٤- قوله (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) فيه أن من أسباب محبة الله كثرة النوافل والتقرب إلى الله بها بعد الفرائض .

قال ابن رجب : فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين :

أحدهما : من تقرب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وترك المحرمات .

والثاني : من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل .

٥- أن من أسباب محبة الله كثرة النوافل ، وهناك أسباب كثيرة تنال بها محبة الله ذكرها ابن القيم في كتابه : مدارج السالكين وهي :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر والفهم لمعانيه .

الثاني : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .

الثالث : دوام ذكره على كل حال .

الرابع : إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ، ومشاهدتها ومعرفتها .

السادس : مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة .

السابع : - وهو من أعجبها – انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى .

الثامن : الخلوة به وقت النزول الإلهي ، لمناجاته وتلاوة كلامه .

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر .

العاشر : مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله .

فمن هذه الأسباب العشرة : وصل المحبوب إلى منزلة المحبة

٦- الحديث دليل على أنه لا طريق يوصل إلى الله إلا بمحبته وطاعته التي شرعها على لسان رسوله .

فمن ادعى ولاية الله والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق ، تبين أنه كذاب في دعواه .

٧- قوله (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ...) فيه فضل المداومة على العمل الصالح ، فلا يعتبر الإنسان متقرباً إلى الله بالنوافل محافظاً عليها إلا باستمراره على هذه الطاعة ، وإلا فلا يعتبر متقرباً إلى الله بالنوافل .

ومن أعظم فضائل المداومة على العمل الصالح :

أولاً : أن هذا عمل يحبه الله .

كما قال ﷺ (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) متفق عليه .

قال النووي : وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة .

وقال ابن الجوزي : إنما أحب العمل الدائم لمعنيين :

أحدهما : أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصول ، فهو متعرض لهذا .

والثاني : أن مداومة الخير ملازم للخدمة ، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً ما كمن لازم يوماً كاملاً ثم انقطع .

ثانياً : أن هذا هو هدي النبي ﷺ .

كما قال عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته) رواه مسلم .

وعنها قالت (وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه) متفق عليه ، أي : لازموه وداوموا عليه .

وعنها قالت (كان عمله – يعني النبي ﷺ – ديمة) رواه مسلم ، (دِيمة) بكسر الدال أي : دائماً .

وقال لعبد الله بن عمرو (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) رواه مسلم .

ثالثاً : أن المداومة على العمل الصالح سبب لمحبة الله .

كما في حديث الباب (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ..) رواه البخاري .

رابعاً : أن المداومة سبب لإظلال العبد في ظل الله.

كما قال ﷺ في حديث (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظله إلا ظله : وذكر منها : وشاب نشأ في عبادة الله ...) ومن المعلوم أنه لابد من الاستمرار على ذلك ليحصل على الأجر.

خامساً : أن المداومة سبب لطهارة القلب من النفاق .

لأن المنافق تثقل عليه العبادة والطاعة ولا يستطيع أن يستمر بها . (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) .

وفي الحديث (من حافظ على تكبيرة الإحرام أربعين يوماً كتبت له براءتان ، براءة من النفاق ، وبراءة من النار) .

سادساً : أن المداومة على العمل سبب للنجاة من الشدائد .

في الحديث قال ﷺ (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) رواه الترمذي .

سابعاً : أن المداومة على العمل فيه دوام اتصال القلب بالله .

وهذا يزيد القلب قوة وثباتا ونشاطاً وتوكلاً وتعلقاً بالله .

ثامناً : أن المداومة على العمل ترويض للنفس على الطاعة .

ولهذا قيل : نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

٨- قوله (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا) فيه أن من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض ، ثم بالنوافل قرّبه إليه ، ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان .

قال ابن كثير : فمعنى الحديث، أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا الله، أي : ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل، مستعينا بالله في ذلك كله؛ ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح ، بعد قوله (ورجله التي يمشي بها) (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي) .

وقال ابن رجب : ... فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ، ولا يتحرك إلا بأمره ، فإن نطق ، نطق بالله ، وإن سمع ، سمع به ، وإن نظر ، نظر به ، وإن بطش ، بطش به ، فهذا هو المراد بقوله (كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) .

٩- الحديث دليل على الأعمال الصالحة تتفاضل من حيث الجنس ومن حيث النوع .

فمن حيث الجنس : الفرائض أحب إلى الله من النوافل .

ومن حيث النوع : الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض .

١٠- في الحديث فائدة من فوائد النوافل وهي محبة الله ، وهناك فوائد كثيرة وحكم عظيمة من شرعية النوافل والتطوعات :

منها : محبة الله .

كما في حديث الباب .

ومنها : جبر ما يكون فيها من التقصير والخلل .

كما قال ﷺ (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، يقول ربنا تعالى لملائكته – وهو أعلم بهم – انظروا في صلاة عبدي ، أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً ، قال : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه) رواه أبو داود .

ومنها : تحصيل الثواب والأجر على ذلك .

ومنها : توطين النفس وتمرينها على العبادة لتعتاد على ذلك .

ومنها : صلاح القلب وطهارته .

ومنها : شغل الوقت بأفضل الطاعات .

ومنها : الاقتداء بالنبي ﷺ .

١١- : إثبات المحبة الله ، محبة تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل .

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

وقال ﷺ (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) .

٩٦- الثاني : عن أنس ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه ﷻ ، قَالَ : « إِذَا تَقَربَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَربْتُ إِلَيْه ذِرَاعاً ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَربْتُ مِنهُ بَاعاً ، وإِذَا أتَانِي يَمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » رواه البخاري .

١- الحديث جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

٢- الحديث دليل على فضل إحسان الظن بالله تعالى .

وقد جاء في الحديث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى) .

فمن أحسن ظنه بالله آتاه الله إياه.

لقوله ﷺ (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي) متفق عليه.

وفي المسند قال ﷺ (إن الله عز وجل قال: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيراً فله ، وإن ظن شراً فله) .

والمعنى : أعاملُه على حسب ظنه بي ، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر .

وقال عبد الله بن مسعود (والذي لا إله غيرُه ، ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل ، والذي لا إله

غيره ، لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنَّه ، ذلك بأنَّ الخيرَ في يده) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن.

قال سهل القطعي رحمه الله (رأيت مالك بن دينار رحمه الله في منامي، فقلت : يا أبا يحيى ليت شعري ، ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، فمحاها عني حسن الظن بالله) رواه ابن أبي الدنيا .

وعن أبي بكر ﷺ قال (قلت للنّبيّ ﷺ وأنا في الغار: لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) متفق عليه .

- ومعنى حُسن الظن بالله عَز وجل : هو اعتماد الإنسان المؤمن على ربّه في أموره كلها ، و يقينه الكامل ، وثقته التامة بوعد الله ووعيده ، و إطمئنانه بما عند الله ، و عدم الاتكال المطلق على تدبير نفسه وما يقوم به من أعمال .
- و حسن الظن بالله من مقتضيات التوحيد ، لأنه مبنيٌ على العلم برحمة الله وعزته ، وإحسانه وقدرته ، وحسن التوكل عليه ، فإذا تم العلم بذلك أثمر حسن الظن .

قال ابن القيّم : كلما كان العبد حَسن الظَّن بالله، حَسن الرَّجاء له، صادق التوكُّل عليه: فإنَّ الله لا يخيِّب أمله فيه البتَّة؛ فإنَّه سبحانه لا يخيِّب أمل آملٍ، ولا يضيّع عمل عاملٍ، وعبَّر عن الثقة وحُسْن الظَّن بالسَّعة؛ فإنَّه لا أشرح للصَّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحُسْن ظنِّه به .

وقال أيضًا: فعلى قدر حُسْن ظنِّك بربّك ورجائك له، يكون توكُّلك عليه؛ ولذلك فَسَّر بعضهم التَّوكُّل بحُسْن الظَّن بالله، والتَّحقيق :أنَّ حُسْن الظَّن به يدعوه إلى التوكُّل عليه، إذ لا يُتَصَوَّر التَّوكُّل على من ساء ظنك به، ولا التَّوكُّل على من لا ترجوه .

- فإن قيل : ما الفرق بين حسن الظن بالله والغرور ؟

قال ابن القيم : حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه ؛ فهو صحيح ، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي ؛ فهو غرور .

قال ابن القيم رحمه الله في وصفه لحال هذا الصنف من الناس: "فأكثر الخلق بل كلهم إلا ما شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق ونفسه تشهد عليه وإن كان لسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به. ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها. ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر". اهـ.

٣- الحديث دليل على فضل عظيم لذكر الله لقوله (وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) فمن ذكر الله ذكره الله .

وقال تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ) .

قال ابن القيم : ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً .

٤- الحديث دليل على إثبات المعية لله تعالى ، والمراد بها المعية الخاصة التي مقتضاها النصر والتأييد والتوفيق .

فالمعية تنقسم إلى قسمين :

معية عامة : وهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر .

ودليلها قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) .

ومعية خاصة :وهي المعية لأوليائه المخلصين المتقين التي مقتضاها النصر والتأييد والحفظ والتسديد .

كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

وقال تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .

وقال تعالى لموسى وهارون (قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) .

٥- الحديث دليل على إثبات النفس لله تعالى .

عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات النفس لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تمثيل ولا تشبيه .

قال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)

وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) .

وقوله تعالى عن عيسى أنه قال : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) .

وأما السنة فقوله ﷺ (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) . رواه مسلم .

وحديث الباب .

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به ، فيجب إثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

٦-جزاء القرب من الله ، وأن العبد كلما قرب من ربه جل وعلا ازداد الله منه قرباً.

وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه قريب من عبده فقال (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

وقال ﷺ (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) رواه مسلم

٩٧- الثالث : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ ، وَالفَرَاغُ)) رواه البخاري .

(**نعْمَتَانِ**) ما يتنعم به الإنسان ويستلذه .

(**مغبون**) هو الشراء بأضعاف الثمن ، بأقل من ثمن المثل .

١-معنى الحديث : أنه لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها , ولا ينفعهم الندم قال تعالى (ذلك يوم التغابن) وقال ﷺ ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها ، وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء : معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفياً صحيح البدن ، فقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحا , وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنياً ، فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل لشغله بالكسب , فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع

- تشبيه المكلف بالتاجر ، والصحة بالفراغ برأس المال ، فمن أحسن استخدام رأس ماله نال الربح ، ومن ضيعه خسر وندم

معنى الحديث :

أن من صح بدنه ، وتفرغ من الأشغال العائقة ، ولم يسع لصلاح آخرته فهو كالمغبون في البيع .

٢-كثير من الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ ، بل قضوا أوقاتهم بالمعاصي والمنكرات ، من مشاهدة المباريات ، والجلوس عند القنوات ، والسعي وراء الملهيات ، وكذلك الصحة ، فصرفوهما في غير محلهما فكانت وبالاً وحسرة عليهم يوم القيامة .

٤-أهمية الوقت والاستفادة منه ، لأن النبي بين أن من لم يستفد من وقته فهو مغبون ، والوقت مهم جداً :

أولا : هو من نعم الله .

قال تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرتٌ بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

وقال تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) أي : يخلف كل منهما الآخر .

ولمزيد أهميته نجد أن المولى سبحانه وتعالى يقسم بأجزاء منه :

كقوله تعالى (والفجر وليال عشر) وقوله (والضحى وليال عشر)

ثانياً : أنه يسأل عنه الإنسان .

كما قال رسول الله ﷺ (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : ... وذكر منها عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه) رواه الترمذي .

ثالثاً : أن من لن يستفد منه فهو مغبون .

كما في حديث الباب .

رابعاً : حث النبي على اغتنام الفراغ قبل الشغل .

قال رسول الله : اغتنم خمساً قبل خمس : .. وذكر منها (فراغك قبل شغلك ..) رواه الحاكم .

خامساً : أنه عندما يدخل الكفار النار يوبخهم الله على تفريطهم وعدم اتعاظهم من التعمير .

قال تعالى (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) .

قال ابن القيم : وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته في العذاب الأليم ، وهو يمر مر السحاب .

٥ - أن قليل من الناس من يوفق ويعرف شرف وقته وصحته .

٦ - أكثر الناس دائماً على غير الحق .

٧ - استحباب دعاء الإنسان ربه أن يكون من القليل الذي لم يخسر وقته وصحته .

٨ - من أسباب معرفة قيمة الوقت :

أولاً : معرفة أنه يمر مر السحاب .

ثانياً : أن الإنسان يندم على ضياعه عند الاحتضار في النار .

قال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ...) .

وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ... وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) .

٩٨- الرابع : عن عائشة رَضي الله عنها : أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفطَّر قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله ، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : « أَفَلا أُحِبُّ أنْ أكُـونَ عَبْداً شَكُوراً » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ ، هَذَا لفظ البخاري .

ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة .

١-الحديث دليل على شدة عبودية النبي ﷺ لربه سبحانه وتعالى .

٢-الحديث دليل على مشروعية قيام الليل ، ولقيام الليل فضائل :

أولاً : أن الله تبارك وتعالى مدح أهله .

قال تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

قال ابن كثير : تتجافى جنوبهم عن المضاجع : يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة .

يدعون ربهم خوفاً وطمعاً : أي خوفاً من وبال عقابهِ وطمعاً في جزيل ثوابهِ .

ومما رزقناهم ينفقون : فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية .

ثانيا : قيام الليل من علامات المتقين .

قال تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

قال الحسن البصري في الآية : لا ينامون من الليل إلا أقله ، كابدوا قيام الليل .

وفي قوله سبحانه (وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال الرازي في الآية : إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك ، وأخلص منه ، فيستغفرون من التقصير ، وهذه سيرة الكريم : يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير ، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به .

ثالثاً : قيام الليل من صفات عباد الرحمن . أولياء الله ومن أسباب دخول الجنة .

يقول تعالى في وصف عباد الرحمن (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ... أولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) .

رابعاً : وفرق تعالى بين من قام الليل ومن لم يقمه ، ممتدحاً صاحب القيام .

فقال تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) .

خامساً : قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة .

عن أبي هريرة . قال : قال ﷺ (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم .

قال ابن رجب : وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار ، لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص ، ولأن صلاة الليل أشق على النفوس ، فإن الليلَ محل النومِ والراحة من التعب بالنهار ، فترْك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدةٌ عظيمةٌ ، ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر ، فإنه تنقطع الشواغل بالليل ، ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم كما قال تعالى (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً) .

سادساً : من أسباب دخول الجنة .

عن عبد الله بن سلام . قال : قال ﷺ (أيها الناس ! أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) رواه الترمذي .

سابعاً : قيام الليل سبب للنجاة من الفتن .

فالصلاة عموماً ، وصلاة الليل خصوصاً سبب من أسباب النجاة من الفتن .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتِ (اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ) رواه البخاري .

ففي هذا الحديث دليل وتنبيه على أثر الصلاة بالليل في الوقاية من الفتن .

ثامناً : أنه شرف للمؤمن .

فقد جاء في الحديث عن سهل قال : قال ﷺ (جاءني جبريل ! فقال يا محمد ! اعمل ما شئت فإنك مجزي به ، ... واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) رواه الطبراني وحسنه الألباني .

فقيام الليل شرف للمؤمن ، لأنه دليل على إخلاصه ، ودليل على ثقته بربه ، ودليل على قوة إيمانه ، فيرفعه الله ويعزه ويرفع مكانته ويعلي درجته لأنه خلى بالله تعالى .

تاسعاً : لهم غرف في الجنة .

قال ﷺ (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام) رواه أبو داود .

عاشراً : بقيام الليل يدرك المصلي وقت النزول الإلهي .

عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ (ينزل ربنا كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له) متفق عليه

الحادي عشر :وصف النبي ﷺ من يقوم الليل بنعم الرجل .

عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ (كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنْتُ غُلاَماً شَابًّا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ – قَالَ – فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ ، فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً) رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر : فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نِعم الرجل .

الثاني عشر : قيام الليل من أسباب المغفرة والرحمة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ) رواه أبو داود .

الثالث عشر : من فضل قيام الليل أنه من مظان الإجابة .

عن جابر . قال : قال رسول الله ﷺ (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه وذلك كل ليلة) متفق عليه .

٣–السلف وقيام الليل .

قالت عائشة (يا عبد الله ! لا تدع قيام الليل ، فإن النبي ﷺ ما كان يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلى وهو قاعد) متفق عليه.

وجاء في موطأ الإمام عن ابن عمر قال (كان عمر يصلي في الليل حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله وقرأ : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) .

وقال أبو عثمان النهْدي : تضيفت أبا هريرة سبعة أيام [أي نزلت عليه ضيفاً] فكان هو وزوجه وخادمه يقتسمون الليل أثلاثاً، الزوجة ثلثاً وخادمه ثلثاً وأبو هريرة ثلثاً .

وكان سليمان التيمي عنده زوجتان وكانوا يقتسمون الليل أثلاثاً .

والحسن بن صالح كان يقتسم الليل هو وأخوه وأمه أثلاثاً ، فماتت أمه ، فاقتسم الليل هو وأخوه علي ، فمات أخوه فقام الليل بنفسه .

وكان محمد بن واسع إذا جنّ عليه الليل يقوم ويتهجد ، يقول أهله : كان حاله كحال من قتل أهل الدنيا جميعاً .

وكان الإمام أبو سليمان الداراني يقول : والله لولا قيام الليل ما أحببت الدنيا ، ووالله إن أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، وإنه لتمر بالقلب ساعات يرقص فيه طرباً بذكر الله فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفي نعيم عظيم .

وكانت امرأة حبيب بن محمد الزاهد توقظه بالليل وتقول : ذهب الليل ، وبين أيدينا طريق بعيد ، وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قُدّامنا ونحن قد بقينا ، وكانت تقول :

يا راقدَ الليلِ كم ترقدُ ... قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ

وخذ من الليلِ وأوقاتهِ ... وِرْداً إذا ما هجعَ الرُّقدُ

من نامَ حتى ينقضي ليلهُ ... لم يبلغ المنزلَ أو يجهدُ

قل لأولي الألبابِ أهلِ التقى ... قَنطرةُ العَرْضِ لكم موعدُ

وقال أبو الدرداء : صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور .

وقال أحمد بن حرب : عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقَه ، والنار تضرم تحته ، كيف ينام بينهما .

وكان شداد بن أوس إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح .

وحين سألت ابنة الربيع بن خثيم أباها : يا أبتاه الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ قال : يا بنية إن أباكِ يخاف السيئات .

ويروى أن طاووساً جاء في السحر يطلب رجلاً ، فقالوا : هو نائم ، قال : ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر .

وكان عبد الله بن داود يقول : كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه ، كان لا ينام الليل .

وذكر أن عامراً لما احتضر جعل يبكي ، فقيل : ما يبكيك يا عامر ؟ قال : ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الشتاء .

وقال محمد بن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة في جماعة .

وقال الحسن البصري : ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال ، وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل .

٤- الحديث دليل على وجوب شكر النعم ، وأن شكر النعمة من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

- فضائل الشكر :

أولاً : الله أمر به .

قال تعالى : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

ثانياً : التوبيخ على عدم الشكر .

قال تعالى : (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ) .

ثالثاً : الثناء على الشاكرين وأنه سبل الرسل .

قال تعالى : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) .

وقال تعالى عن إبراهيم (شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

رابعاً : الشكر نفع للشاكر نفسه .

قال تعالى : (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) .

خامساً : أن الشكر إذا صدر من المؤمنين فهو مانع من نزول العذاب .

قال تعالى : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) .

سادساً : أن الشكر سبب لزيادة النعم .

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) .

سابعاً : أن الصفوة من عباد الله يسألون الله أن يوزعهم شكر نعمته .

قال تعالى عن سليمان : (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) .

ثامناً : أن الشاكرين قليلون .

قال تعالى : (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ) .

وقال تعالى : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) .

وهذا يدل على أنهم هم خواص الله .

٣- الحديث دليل على أن الشكر يكون بالجوارح كما يكون بالقلب واللسان .

قال ابن حجر : وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً) .

ثم قال والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال سبحانه: وقليل من عبادي الشكور.

ولذلك تعريف الشكر : هو القيام بطاعة المنعم اعترافاً بالقلب ، وثناء باللسان ، وطاعة بالأركان .

بالقلب ، قال تعالى (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) .

وباللسان ، قال تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

وبالجوارح ، قال تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) ، وحديث الباب .

وفي ذلك يقول الشاعر :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجبا

فنعمة العين : أن لا ينظر بها إلا فيما يرضي الله ، وشكر نعمة اليد أن لا يبطش بها إلا فيما يرضي الله ، وشكر نعمة الرجل أن لا يمشي بها إلا فيما يرضي الله ، وشكر نعمة المال : أن لا يستعين به ويصرفه إلا فيما يرضي الله .

- **كيف يتحقق الشكر ؟**

أولاً : سؤال الله ذلك .

كما قال تعالى عن سليمان : (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) .

وقال ﷺ لمعاذ : (يا معاذ ، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) . رواه أبو داود

ثانياً : أن يعلم الإنسان أن النعم إذا شكرت قرت وزادت .

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) .

ثالثاً : أن يعلم الإنسان أن الله سيسأله يوم القيامة عن شكر نعمه .

قال تعالى : (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) .

قال ابن كثير : أي ثم لتسألن عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما ذا قابلتم به نعمه من شكر وعبادة .

رابعاً : أن ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا ، فإذا فعل ذلك استعظم ما أعطاه الله .

قال ﷺ : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) .

الشكر يكون من الله لعبده ومن العبد لربه .

فشكر العبد لربه كقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) . وقوله تعالى (كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) .

وتعريفه كما سبق وهو أن يستعمل نعمه في طاعة الله .

وشكر الله لعبده :

كقوله تعالى (ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) .

وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)

ومعنى شكر الله لعبده: هو أن يثيبه الثواب الجزيل من عمله القليل ، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، وإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه ، وإذا بذل له شيئاً ردّه عليه أضعافاً مضاعفة .

لما عقر سليمان الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره ، فأراد ألا تشغله مرة أخرى ، أعاضه عنها متن الريح .

ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته ، أعاضهم عنها أن ملّكهم الدنيا وفتحها عليهم .

ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء

٦- الحديث دليل على أن من خصائص النبي ﷺ أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

أولاً : لحديث الباب .

ثانياً : لحديث علي قال : قال ﷺ (وجعلت أمتي خير الأمم ، وسميت أحمد ، وغفر لي ما تقدم من ذنبي) رواه أحمد .

٧- الحديث دليل على شرف وفضل العبودية لله تعالى ، وأن الإنسان كلما كان أكثر عبودية لله كان أكثر رفعة عند الله .

وقد وصف الله نبيه ﷺ بالعبودية في أعلى المقامات :

أولاً : في مقام التحدي .

قال تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) .

ثانياً : في مقام الإسراء .

كما قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) .

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ...) .

ثالثاً : في حال إنزال القرآن .

كما قال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) .

رابعاً : في مقام الدعوة إلى الله .

قال تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) .

٩٩-الخامس : عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّها قَالَتْ : كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيلَ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَر . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

والمراد : العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان . و« **المِئْزَرُ** » : الإزار ، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النساءِ . وقيلَ : المرادُ تَشْمِيرُهُ للِعِبَادةِ ، يُقالُ : شَدَدْتُ لِهَذَا الأَمْرِ مِئْزَرِي : أي تَشَمَّرْتُ وَتَفَرَّغْتُ لَهُ .

(**أَحْيَا اللَّيلَ**) أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها ، وليس المراد إحياء جميع الليل وإنما المراد معظمه .

(**وَشَدَّ المِئْزَر**) اختلف في تفسيره : فقيل : هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة ، وقيل : هو كناية عن اعتزاله النساء ورجحه ابن رجب رحمه الله ، وقال : والصحيح أن المراد اعتزاله النساء ، وقد ورد صريحاً من حديث عائشة وأنس ، وورد تفسيره بأنه لم يأوي إلى فراشه ، واعتزل النساء .

(**وأيْقَظَ أَهْلَهُ**) أي : أيقظهم للصلاة في الليل ، وجد في العبادة ، والمراد زوجاته .

١-الحديث دليل على أن للعشر الأواخر من رمضان مزية على غيرها بمزيد الطاعة والعبادة من صلاة وذكر وتلاوة قرآن .

ولذلك تميزت هذه الليالي بأمور :

أولاً : إحياء الليل بالعبادة .

ثانياً : إيقاظ الأهل للصلاة .

ثالثاً : يعتزل النساء تفرغاً للعبادة .

رابعاً : الاعتكاف كما في حديث عائشة في الصحيحين (أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأواخر من رمضان واعتكف أزواجه من بعده).

وقد جاء عند مسلم من حديث عائشة (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها) .

١- استحباب إيقاظ الأهل للصلاة والذكر .

قال سفيان الثوري : أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه ، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إذا أطاقوا ذلك .

وهذا العمل مسنون في كل الأيام لكنه يتأكد في ليالي العشر .

ومما يدل على استحبابه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء) . رواه أبو داود

وفي الموطأ : (أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي ، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ، يقول لهم : الصلاة ، الصلاة ، ويتلو هذه الآية (أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) .

وكانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل : قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا :

يا نائماً بالليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد .

وخذ من الليل وأوقاته ورداً إذا ما هجع الرقد .

من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يجتهد .

قل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد .

١٠٠-السادس : عن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيرٌ . احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدرُ اللهِ ، وَمَا شَاءَ فَعلَ ؛ فإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ » رواه مسلم .

(**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ**) هو من يقوم بالأوامر ، ويترك النواهي بقوة ونشاط ، ويصبر على مخالطة الناس ودعوتهم ، ويصبر على أذاهم . أي : القوي في إيمانه ، وليس المراد القوي في بدنه .

(**وَفِي كُلٍّ خَيرٌ**) يعني المؤمن القوي ، والمؤمن الضعيف كل منهما فيه خير .

١- الحديث دليل على فضل قوة الإيمان ، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

قال السعدي : ودل الحديث على أن الإيمان يشمل العقائد القلبية ، والأقوال والأفعال ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ; فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : قول : (لا إله إلا الله) وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة منه . وهذه الشعب التي ترجع إلى الأعمال الباطنة والظاهرة كلها من الإيمان . فمن قام بها حق القيام ، وكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح ، وكمل غيره بالتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر : فهو المؤمن القوي الذي حاز أعلى مراتب الإيمان ، ومن لم يصل إلى هذه المرتبة : فهو المؤمن الضعيف .

إثبات المحبة صفة لله ، وأنها متعلقة بمحبوباته وبمن قام بها ودل على أنها تتعلق بإرادته ومشيئته ، وأيضا تتفاضل . فمحبته للمؤمن القوي أعظم من محبته للمؤمن الضعيف .

٢-الحديث دليل على الاحتراز عند التفاضل بين شيئين :

قال السعدي : ولما فاضل النبي ﷺ بين المؤمنين قويهم وضعيفهم خشي من توهم القدح في المفضول ، فقال (وفي كل خير) وفي هذا الاحتراز فائدة نفيسة ، وهي أن على من فاضل بين الأشخاص أو الأجناس أو الأعمال أن يذكر وجه التفضيل ، وجهة التفضيل ، ويحترز بذكر الفضل المشترك بين الفاضل والمفضول ، لئلا يتطرق القدح إلى المفضول وكذلك في الجانب الآخر إذا ذكرت مراتب الشر والأشرار ، وذكر التفاوت بينهما ، فينبغي بعد ذلك أن يذكر القــدر المشترك بينهما من أسباب الخير أو الشر ، وهذا كثير في الكتاب والسنة .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) .

وقوله تعالى (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) .

وقوله تعالى (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى

٢- وقوله ﷺ (احرص على ما ينفعك واستعن بالله) كلام جامع نافع ، محتو على سعادة الدنيا والآخرة .

قال ابن القيم : فالخير كله في الحرص علة ما ينفع .

- والحرص : بذل الجهد لنيل ما ينفع من أمور الدنيا والدين .
- والنبي ﷺ أمرنا بالحرص على النافع، ومعناه أن نقدم الأنفع على النافع، لأن الأنفع مشتمل على أصل النفع وعلى الزيادة .
- والأمور النافعة قسمان : أمور دينية ، وأمور دنيوية .

والعبد محتاج إلى الدنيوية كما أنه محتاج إلى الدينية . فمدار سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد في الأمور النافعة منهما ، مع الاستعانة بالله تعالى ، فمتى حرص العبد على الأمور النافعة واجتهد فيها ، وسلك أسبابها وطرقها ، واستعان بربه في حصولها وتكميلها : كان ذلك كماله ، وعنوان فلاحه . ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثلاثة : فاته من الخير بحسبها . فمن لم يكن حريصاً على الأمور النافعة ، بل كان كسلاناً ، لم يدرك شيئاً . فالكسل هو أصل الخيبة والفشل ، فالكسلان لا يدرك خيراً ، ولا ينال مكرمة ، ولا يحظى بدين ولا دنيا ، ومتى كان حريصاً ، ولكن على غير الأمور النافعة : إما على أمور ضارة ، أو مفوتة للكمال كان ثمرة حرصه الخيبة ، وفوات الخير ، وحصول الشر والضرر ، فكم من حريص على سلوك طرق وأحوال غير نافعة لم يستفد من حرصه إلا التعب والعناء والشقاء .

٣- قوله (واستعن بالله) .

قال ابن القيم : لما كان حرص الإنسان وفعله هو بمعونة الله وتوفيقه ، أمره أن يستعين به ، ليجتمع له مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته .

والاستعانة : طلب العون .

قال ابن رجب : وأما الاستعانة بالله – عز وجل – دونَ غيره من الخلق ؛ فلأنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مصالحه ، ودفع مضارّه ، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله – عز وجل – ، فمن أعانه الله ، فهو المعانُ ، ومن خذله فهو المخذولُ ، وهذا تحقيقُ معنى قول (لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله) ، فإنَّ المعنى : لا تَحوُّلَ للعبد مِنْ حال إلى حال ، ولا قُوَّة له على ذلك إلا بالله ، وهذه كلمةٌ عظيمةٌ ، وهي كنز من كنوز الجنة ، فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات ، وترك المحظورات ، والصبر على المقدورات كلِّها في الدنيا وعندَ الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله – عز وجل –، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه . وفي الحديث الصحيح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال (احرصْ على ما ينفعُكَ واستعن بالله ولا تعجزْ) ومن ترك الاستعانة بالله ، واستعان بغيرِه ، وَكَلَهُ الله إلى من استعان به فصار مخذولاً . كتب الحسنُ إلى عُمَرَ بنِ العزيز : لا تستعِنْ بغيرِ الله ، فيكِلَكَ الله إليه . ومن كلام بعضِ السَّلف : يا ربِّ عَجبت لمن يعرفُك كيف يرجو غيرك ، عجبتُ لمن يعرفك كيف يستعينُ بغيرك .

٤- قوله (ولا تعجز) بكسر الجيم وهو الأفصح – أي لا تفرط في طلب ذلك ولا تضعف عن القيام به ، ولا تكسل وتتأخر في العمل إذا شرعت فيه ، بل استمر ؛ لأنك إذا تركت ثم شرعت في عمل آخر ، ثم تركت ثم شرعت ثم تركت ما تم لك عمل.

٤- وجوب الإيمان بالقدر .

٥- تحريم التسخط عند حدوث مكروه .

٦- حكم استعمال لو : فيها تفصيل :

أولاً : إذا قيلت اعتراضاً على الشرع ، فهذا حرام ولا يجوز .

مثل : لو قال : لو أن الله ما أوجب الحج ، أو صلاة الفجر .

قال تعالى (لو أطاعونا ما قتلوا) .

ثانياً : أن تقال اعتراضاً على المقدور ، وهذا محرم .

كما لو سافر إنسان وأصابه شيء ، فقال : لو أني لم أسافر لم يحصل كذا وكذا .

قال تعالى (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) .

ثالثاً : أن تقال للندم والتحسر ، وهذا حرام أيضاً .

مثال : رجل حرص أن يشتري شيئاً غيه ربحاً فخسر ، فقال : لو أني ما اشتريته ما حصل لي خسارة ، فهذا ندم وتحسر .

رابعاً : أن تستعمل في التمني ، وحكمه حكم المتمني ، إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر .

وقد قال ﷺ في قصة النفر الأربعة : (قال أحدهم : لو أن عندي مال فلان لعملت فيه عمل فلان ، فهذا تمنى خيراً ، وقال الثاني : لو أن عندي مال فلان الذي ينفقه في غير مرضات الله ، فهذا تمنى شراً ، فقال النبي ﷺ في الأول : فهو بنيته فهم بالأجر سواء ، وقال في الثاني : فهم بنيته فهما بالوزر سواء) . رواه أحمد

خامساً : أن تستعمل في الخير المحض . مثال : لو حضرت الدرس لاستفدت ، فهذا جائز .

١٠١- السابع : عَنْهُ : أَنَّ رَسُول الله ﷺ ، قَالَ : ((حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وفي رواية لمسلم : ((حُفَّتْ)) بدل ((حُجِبَتْ)) وَهُوَ بمعناه : أي بينه وبينها هَذَا الحجاب فإذا فعله دخلها .

١- في هذا الحديث جعل النبي ﷺ الجنة والنار محجوبتان بالمكاره والشهوات ,فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب, فهتك حجاب الجنة باقتحام بالمكاره-وهى العبادات الشاقة على النفس- وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات المحرمة .

وقد أخرج الترمذي وأبو داود هذا الحديث عن أبى هريرة- رضي الله عنه- بلفظ آخر أطول من هذا- وفيه قصة –

ولفظ الترمذي أنَّ رسول اللهﷺ قال (لما خلق الله الجنة والنار, أرسل جبريل إلى الجنة فقال أنظر إليها , وإلى ما أعددتُ إلى أهلها فيها .قال : فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدّ اللهُ لأهلها فيها, قال: فرجع إليه , قال:فوعزّتك لا يسمع بها أحدٌ إلاَّ دخلها,فأمر بها فحُفّت بالمكاره , فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها,قال:فرجع إليها فإذا هي قد حُفت بالمكاره , فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خِفت ألا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها,فإذا هي يركب بعضها بعضاً,فرجع إليه فقال :وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها,فأمر بها فحفت بالشهوات,فقال: ارجع إليها , فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها) رواه الترمذي .

قال النووي : قال العلماء: هذا من بديع الكلام، وفصيحه، وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلاّ بارتكاب المكاره ، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء، والصبر على الشهوات، ونحو ذلك.

وأما الشهوات التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك ، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرمة، أو أن يقسي القلب، أو يشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا للصرف فيها، ونحو ذلك. انتهى.

٢-عواقب اتباع الشهوة .

أولاً : مرض القلب :

ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي وكلاهما في القرآن .

قال تعالى في مرض الشبهة (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) ، وأما مرض الشهوات فقال تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) فهذا مرض شهوة الزنا (زاد المعاد) .

الأسير هو أسير شهوته وهواه ، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار كعصفور في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو و يلعب . (روضة المحبين) .

ثانياً : الضلال عن الحق بسبب سكر الشهوة .

قال تعالى في قوم لوط (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) .

وهذا السكر أشد من سكر الخمر ، فإن سكر الخمر يكون يوما أو قريبا من يوم ، وأما سكر الشهوة والمحبة الفاسدة فقوي دائم ، وقد يصل إلى الجنون . (قاعدة في المحبة) .

ثالثاً : الشهوة بريد الكفر والخروج عن الدين .

فإن الشهوة خطوة من خطوات الشيطان التي يتدرج بالعبد عن طريقها حتى يفسد عليه دينه وقد يخرجه منه .

قال عدي ابن ثابت كان في زمن بني إسرائيل راهب يعبد الله حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرأون على يديه وإنه أتي بامرأة ذات شرف من قومها قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها فذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا كبر علي ذكره فذكر ذلك بعضهم لبعض حتى رفعوا ذلك إلى ملكهم فسار الناس إليه حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على الخشبة تمثل له الشيطان فقال أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك قال نعم قال تسجد لي سجدة واحدة فسجد له وقتل الرجل فهو قول الله تعالى كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . (روضة المحبين) .

رابعاً : الحجب عن الرب جل وعلا .

فإن العبد إذا قدم شهوته على مراد ربه عرض نفسه للحجب والجفاء بينه وبين ربه ، فإن أراد الله خذلانه وكله إلى شهوته وتركه محجوباً عنه ، وإن أراد الله عصمته نغص عليه الشهوة وحال بينه وبين اللذة المحرمة حتى لا تكون حجاباً بينه وبينه . (مدارج السالكين) .

خامساً : إدمان الشهوة وتعلق القلب بها .

مدمنو الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها.

ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ به عشر معشار التذاذ من يفعله في بعض الأحيان . (روضة المحبين) .

سادساً : الغفلة عن ذكر الله والصلاة .

لأن العبد إذا قهر شهوته وهواه قوي قلبه على الصلاة والخشوع فيها ، وهذا بخلاف من قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعدا فإنه لا يمكن أن يتخلص من الوساوس والأفكار . (الوابل الصيب) .

سابعاً : الشقاء والحسرة في الدنيا .

فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس وشهوة عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها . (إغاثة اللهفان)

ثامناً : العقوبة عند الموت .

شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة ، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن

والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت إلى غايتها . (عدة الصابرين) .

تاسعاً : العقوبة في البرزخ .

ففي حديث سمرة بن جندب الذي في صحيح البخاري (أن النبي قال رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما فإذا بيت مبني على مثل بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فيه رجال ونساء عراة فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا أخمدت رجعوا فيها فقلت من هؤلاء قال هم الزناة)الجزاء من جنس العمل ، فهؤلاء كانوا في الدنيا كلما هموا بالتوبة والإقلاع والخروج من تنور الشهوة إلى فضاء التوبة عادوا إليه فكان هذا عذابهم في تنور الآخرة . (روضة المحبين) .

عاشراً : العذاب في النار .

كما في حديث الباب .

قال تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) .

قال بعض العلماء : إذا علا الذكر الذكر هربت الملائكة ، وعجت الأرض إلى ربها ، ونزل سخط الجبار جل جلاله عليهم ، وغشيتهم اللعنة، وحفت بهم الشياطين، واستأذنت الأرض ربها أن تخسف بهم، وثقل العرش على حملته، وكبرت الملائكة، واستعرت الجحيم ، فإذا جاءته رسل الله لقبض روحه ، نقلوها إلى ديار إخوانهم وموضع عذابهم فكانت روحه بين أرواحهم وذلك أضيق مكانا وأعظم عذابا من تنور الزناة . (روضة المحبين) .

ذهبت اللذات ، وأعقبت الحسرات ، تمتعوا قليلاً وعذبوا طويلاً ، أسكرتهم خمرة تلك الشهوات فما استفاقوا منها إلا في ديار المعذبين ، فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة ، والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم ، وهم بين أطباق الجحيم ، وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كؤوس الحميم ، ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون : ذوقوا ما كنتم تكسبون ، إصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون . (الجواب الكافي) .

٣- ثمرات الانتصار على الشهوة .

للانتصار على الشهوة عدة ثمرات في الدنيا والآخرة ، منها :

أولاً : سلامة القلب .

وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والأمر الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره . (إغاثة اللهفان) .

ثانياً : علو النفس والالتحاق بالملأ الأعلى .

فالإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة ، التحق بالملائكة ، وان غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين ، وان غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم . (عدة الصابرين) .

ثالثاً : النجاة من عذاب الله .

وإذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى ، فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه ، والشاب المؤثر عبادة الله على داعي شبابه ، لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك ، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه ، والذي ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه ، فلم يكن

لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة . (روضة المحبين) .

قال أبو سليمان الداراني : ومن ترك لله شهوة من قلبه فالله أكرم أن يعذب بها قلبه

رابعاً : دخول الجنة .

قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) .

خامساً : كمال الإيمان ولذة الأنس بالله والشوق إليه .

فإن لذة الأنس بالله والشوق إليه والفرح والابتهاج به لا تحصل في قلب فيه غيره ، وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم . (الفوائد) .

- **قال ابن القيم** : الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فإنها أما أن توجب ألما وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تثلم عرضــاً توفيره أنفــع للعبد من ثلمه ، وأما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة ،، وإما أن تنسي علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدوا ، وتحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق . (الفوائد) .

وقال رحمه الله : فما أخذ المرء ما حرم عليه إلا من وجهين :

أحداهما : سوء ظنه بربّه ، وأنه لو أطاعه وآثره لم يُعطه خيراً منه حلالاً .

والثانية : أن يكون عالماً بذلك ، وأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، ولكن تغلب شهــوته صبره ، وهواه عقله ، فالأول من ضعف علمه .. والثاني من ضعف عقله وبصيرته . (الفوائد) .

٤-أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

٥-الحديث مثال لجوامع الكلم التي أوتيها ﷺ .

٦- أن الجنة محفوفة بما يشق على النفوس من التكاليف، فلابد لسالك طريقها من الصبر على المكاره.

٧- أن الشهوات قد حفت بها النار، فعلى المسلم أن يصبر عنها ويحذر من الوقوع فيها.

٨-الحث على الطاعة وإن كرهتها النفوس.

٩- ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس.

١٠-أن الصبر على المكاره عاقبته حسنة.

١١-أن تعاطي الشهوات عاقبته وخيمة.

١٠-الإيمان بالغيب.

١١-التنبيه إلى الحكمة في حف الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ، ليتميز المؤمنون بالغيب وغيرهم.

١٠٢- الثامن : عن أبي عبد الله حُذَيفَةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنهما ، قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيّ ﷺ ذَاتَ لَيلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ ، ثُمَّ مَضَى . فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا في ركعَة فَمَضَى، فقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً : إِذَا مَرَّ بآية فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحواً مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ » ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى » فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ . رواه مسلم .

١٠٣-التاسع : عن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيّ ﷺ لَيلَةً ، فَأَطَالَ القِيامَ حَتَّى هَمَمْتُ بأمْرِ سُوءٍ ! قيل : وَمَا هَمَمْتَ بِهِ ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أنْ أجْلِسَ وَأَدَعَهُ . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً**) أي : مترفقاً متمهلاً .

(**حَتَّى هَمَمْتُ**) أي : أردت وقصدت .

١- الحديث دليل على جواز صلاة النافلة جماعة أحياناً ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه صلى مع بعض الصحابة :

أ-كحذيفة ابن اليمان ، كما في حديث الباب وهو في الصحيحين .

ب-وابن مسعود ، كما في حديث الباب الثاني وهو في الصحيحين .

ج-وأنس ، كما في الصحيحين (أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ ، فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ « قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ » . قَالَ أَنَسٌ فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ) .

د- وابن عباس ، كما في الصحيحين : قَالَ (بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ... ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ) متفق عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : صلاة التطوع في جماعة نوعان :

أحدهما : ما تسن له الجماعة الراتبة كالكسوف والاستسقاء وقيام رمضان , فهذا يفعل في الجماعة دائماً كما مضت به السنة .

الثاني : ما لا تسن له الجماعة الراتبة كقيام الليل , والسنن الرواتب , وصلاة الضحى , وتحية المسجد ونحو ذلك . فهذا إذا فعل جماعة أحيانا جاز ، وأما الجماعة الراتبة في ذلك فغير مشروعة بل بدعة مكروهة , فإن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لم يكونوا يعتادون الاجتماع للرواتب على ما دون هذا ، والنبي ﷺ إنما تطوع في ذلك في جماعة قليلة أحياناً ، فإنه كان يقوم الليل وحده ، لكن لما بات ابن عباس عنده صلى معه , وليلة أخرى صلى معه حذيفة , وليلة أخرى صلى معه ابن مسعود , وكذلك صلى عند عتبان بن مالك الأنصاري في مكان يتخذه مصلى صلى معه , وكذلك صلى بأنس وأمه واليتيم . وعامة تطوعاته إنما كان يصليها منفرداً .

وقال الشيخ ابن عثيمين : والحاصل : أنه لا بأس أن يصلي الجماعة بعض النوافل جماعة ، ولكن لا تكون هذه سنة راتبة كلما صلوا السنة صلوها جماعة ؛ لأن هذا غير مشروع .

٢- الحديث دليل على مشروعية قيام الليل لمواظبة النبي ﷺ عليه ، وقد تقدم فضائل قيام الليل عند حديث .

٣- الحديث دليل على جواز تنكيس السور ، كأن يقرأ في الركعة الأولى سورة الناس وفي الركعة الثانية سورة الفلق .

وقد اختلف العلماء في حكم ذلك على أقوال :

القول الأول : يجوز بلا كراهة .

وبه قال الشافعي ، واختار هذا القول الموفق وابن تيمية وابن باز .

لحديث الباب كما في رواية مسلم حيث قرأ النبي ﷺ البقرة ثم النساء ثم آل عمران .

القول الثاني : يكره .

وبه قال مالك وأحمد ورجحه الشيخ ابن عثيمين .

لأن ذلك خلاف ترتيب المصحف الذي وضعوه الصحابة .

ورجح هذا القول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، وقال عن حديث حذيفة : لعله قبل العرضة الأخيرة .

القول الثالث : يكره التنكيس في صلاة الفرض ولا يكره في صلاة النفل .

والراجح – والله أعلم – القول الأول .

٤- الحديث دليل على أنه يستحب في صلاة الليل إذا مر المصلي بآية تسبيح سبح ، وإذا مر بآية تعوذ تعوذ .

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ (قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ قَالَ ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً) رواه أبو داود .

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : جواز ذلك في الفرض والنفل .

ونسبه النووي لجمهور السلف ومن بعدهم .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار : فالظاهر استحباب هذه الأمور لكل قارئ، من غير فرقٍ بين المصلي وغيره، وبين الإمام والمنفرد والمأموم، وإلى ذلك ذهبت الشافعية .

لحديث الباب ، وما ثبت في النفل ثبت في الفرض إلا بدليل .

القول الثاني : سنة في النفل دون الفرض .

ورجح هذا القول الشيخ الألباني .

قال الألباني : هذا إنما ورد في قيام الليل كما في حديث حذيفة ، فمقتضى الإتباع الصحيح الوقوف عند الوارد وعدم التوسع فيه بالقياس والرأي ، فإنه لو كان ذلك مشروعاً في الفرائض أيضاً لفعله ﷺ ، ولو فعله لنقل ، بل لكان نقله أولى من نقل ذلك في النوافل كما لا يخفى .

وقال الشيخ ابن عثيمين : والراجح في حكم هذه المسألة أن نقول : أما في النفل ـ ولا سيما في صلاة الليل ـ فإنه يُسَنُّ له أن يتعوَّذ عند آية الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة؛ اقتداءً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولأن ذلك أحضرُ للقلب وأبلغُ في التدبر، وصلاة الليل يُسَنُّ فيها التطويل، وكثرة القراءة والركوع والسُّجود، وما أشبه ذلك.

وأما في صلاة الفرض فليس بسُنَّة وإنْ كان جائزاً.

فإن قال قائل: ما دليلك على هذا التفريق، وأنت تقول: إنَّ ما ثبت في النَّفْلِ ثَبَتَ في الفرض، فليكن سُنَّة في الفرض كما هو في النفل.

فالجواب: الدليل على هذا أن الرسول ﷺ كان يصلي في كلِّ يوم وليلة ثلاث صلوات، كلَّها جهر فيها بالقراءة، ويقرأ آيات فيها وعيد وآيات فيها رحمة، ولم ينقل الصَّحابةُ الذين نقلوا صفة صلاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يفعل ذلك في الفَرْض، ولو كان سُنَّة لفَعَلَهُ ولو فَعَلَهُ لنُقل، فلمَّا لم ينقل علمنا أنه لم يفعله، ولما لم يفعله علمنا أنه ليس بسُنَّة، والصَّحابةُ رضي الله عنهم حريصون على تتبُّع حركات النبيّ ﷺ وسكناته حتى إنهم كانوا يستدلُّون على قراءته في السرِّية باضطراب لحيته ، ولما سكت بين التكبير والقراءة سأله أبو هريرة ماذا يقول ؟ ولو كان يسكت عند آية الوعيد مِن أجل أن يتعوَّذ، أو آية الرحمة من أجل أن يسأل لنقلوا ذلك بلا شَكٍّ. (الشرح الممتع) .

وهذا القول هو **الراجح** .

٥- الحديث دليل على استحباب الترسل في قراءة القرآن الكريم .

٦- الحديث دليل على أن الذكر المشروع في الركوع، (سبحان ربي العظيم) وهذا الذكر هو الواجب ، لقوله ﷺ لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال : (اجعلوها في ركوعكم) .

وهناك أذكار يستحب الإتيان بها في الركوع :

منها: حديث عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح). رواه مسلم

ومنها: حديث عائشة أيضاً قالت : (كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) متفق عليه .

ومنها: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة) رواه أبو داود .

ومنها: حديث علي أن النبي ﷺ إذا ركع قال : (اللهم لك ركعتُ ، وبك آمنتُ ، ولك أسلمتُ ، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي) . رواه مسلم

٧- الحديث دليل على أن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد ، ومثله المنفرد ، واختلف في المأموم على قولين .

والصحيح أن المأموم يقتصر على التحمدي ، لحديث أبي هريرة قال: قال ﷺ (إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا ربنا ولك الحمد) متفق عليه .

وذهب الشافعي إلى أن المأموم كذلك يجمع بين التسميع والتحميد .

لفعل النبي ﷺ :

كما في حديث الباب .

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ (كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى اَلصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ , ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ , ثُمَّ يَقُولُ : "سَمِعَ اَللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ" حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنْ اَلرَّكْوعِ , ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ : "رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ" ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا ...) متفق عليه

وقد قال ﷺ (صلوا كما رأيتموني أصلي) رواه البخاري .

والراجح ما ذكره المصنف – رحمه الله – ويكون فعل النبي ﷺ عام مخصوص منه المأموم .

٨-الحديث دليل على أن الذكر المشروع في السجود : سبحان ربي الأعلى ، وهذا الذكر واجب كما هو مذهب الحنابلة ، لقول ﷺ لما نزلت (فسبح باسم ربك الأعلى) قال : اجعلوها في سجودكم .

وهناك أدعية يستحب الإتيان بها في السجود :

منها : (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) .

ومنها : (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) **متفق عليه.**

ومنها : (اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره) رواه مسلم.

١٠-ووصف الرب بالعلو في هذه الحالة غاية في المناسبة ، لأن الإنسان أذل ما يكون لربه وأخضع له حيث يضع أشرف شيء فيه وهو وجهه على التراب خشوعاً لربه واستكانة له ، وخضوعاً لعظمته ، وهو في ذلك أقرب ما يكون من ربه .

١٠٤- العاشر : عن أنس ﷺ ، عن رَسُول الله ﷺ ، قَالَ : ((يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاَثَةٌ : أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَملُهُ ، فَيَرجِعُ اثنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ : يَرجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبقَى عَملُهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

١- الحديث دليل على أهمية العمل الصالح وأنه هو الذي يدخل مع الإنسان في قبره ويحاسب ، وأنه ماله وأهله لن ينفعوه إلا ما أنفقه في طاعة الله .

أولاً : فالعمل الصالح هو الذي يدخل معك في قبرك .

لحديث الباب .

ثانياً : وهو أنيسك وجليسك في القبر .

قال النبي ﷺ : (إن العبد المؤمن إذا وضع في قبره يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر برضوان من الله وجنات ، أنا عملك الصالح ، فوالله ما علمتك إلا كنت سريع في طاعة الله بطيء في معصية الله) .

ثالثاً : وهو الحسب الحقيقي .

قال ﷺ (قال الله عز وجل: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) .

وقال تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

ولذلك قال النبي ﷺ (يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً).

رابعاً : وهو الذي يتمناه الإنسان عند الاحتضار .

يقال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ...) .

يتمنى إذا احتضر وجاءت سكرة الموت ، وجاء الموت ، يتمنى أن يرجع ويعمل الأعمال الصالحة .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

خامساً : وهو الذي يتمناه الكفار إذا دخلوا النار .

قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ . فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) .

سادساً : العمل الصالح سبب لتفريج الكروب .

وقد تقدم حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الغار ، فتوسل كل واحد منهم بعمل صالح فانفرجت عنهم .

سابعاً : العمل الصالح هو الذي يبقى .

قال تعالى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) .

ثامناً : أنه سبب للحياة الطيبة .

قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) .

تاسعاً : سبب للأمن والاستقرار والتمكين .

قال تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) .

١٠٥-الحادي عشر : عن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيّ ﷺ : « الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثلُ ذلِكَ » رواه البخاري .

(**شِرَاكِ نَعْلِهِ**) قال الحافظ : هو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجل .

١- الحديث دليل على أن الجنة سهلة حصولها لمن وفقه الله ، وكذلك النار سهل دخولها لمن خذله الله .

قال ابن الجوزي : معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة ، والنار كذلك ، بموافقة الهوى وفعل المعصية .

ولذلك على المسلم أن لا يحتقر شيئاً من الطاعات أن يفعله ، ولا يتهاون بشيء من المعاصي أن يتجنبه .

كما قال ﷺ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِب) .

وقال ﷺ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَومِ يَلْقَاهُ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) رواه الترمذي من حديث بلال بن الحارث .

وعن طارق بن شهاب .أن رسول الله ﷺ قال: (دخل الجنةَ رجل في ذباب، ودخل النارَ رجل في ذباب) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: (مر رجلانِ على قوم لهم صنم لا يجُوزُهُ أحد حتى يقَرِّبَ له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرِّب قال: ليس عندي شيءٌ أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد في الزهد عن سلمان موقوفاً وإسناده صحيح .

وكحديث الذي سقت كلباً .

وكحديث الذي دخل الجنة بغصن شجرة أزاحه عن الطريقة .

وقد قال ﷺ (لا تحقرن من المعروف شيئاً .....) .

٢- الحديث دليل على وجود الجنة والنار ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد تقدم ذلك .

٣- التحذير من الذنوب الصغيرة .

١٠٦-الثاني عشر : عن أبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ ، ومن أهلِ الصُّفَّةِ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ أبِيتُ

مَعَ رسولِ الله ﷺ فآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ : ((سَلْنِي)) فقُلْتُ : اسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ . فَقَالَ : ((أَوَ غَيرَ ذلِكَ)) ؟ قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : ((فأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)) رواه مسلم .

١٠٧-الثالث عشر : عن أبي عبد الله ، ويقال : أَبُو عبد الرحمان ثوبان -مولى رَسُول الله ﷺ - ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : ((عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرجَةً ، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً)) رواه مسلم .

(**بِكَثْرَةِ اَلسُّجُودِ**) المراد بالسجود هنا صلاة التطوع ، لأن السجود بغير صلاة أو لغير سبب غير مرغّب فيه على انفراده ، وعبر عن الصلاة هنا بالسجود ، لأن السجود من أركانها ، وقد يعبّر عن الشيء بما هو من أركانها كما قال تعالى (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) أي : صلوا مع المصلين .

١- الحديث دليل على فضل الإكثار من صلاة التطوع ، وأنها من أعظم الطاعات ، وأعظم الأسباب لعلو الدرجات في جنات النعيم .

٢- فوائد التطوع ؟

أولاً : جبر ما يكون في المفروضة من نقص .

قال ﷺ : (إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة الصلاة ، قال : يقول ربنا عز وجل لملائكته – وهو أعلم – انظروا في صلاة عبدي ، أتمها أم نقصها ، فإن كانت تامة ، كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً ، قال : انظروا ، هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه) . رواه أبو داود

ثانياً : من أسباب محبة الله .

قال ﷺ : (قال الله تعالى : ... لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) . رواه البخاري

ثالثاً : من أسباب دخول الجنة .

كما في حديث الباب .

وكما في حديث (عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة) . رواه مسلم

رابعاً : الحصول على الأجر المترتب عليها .

خامساً : ترويض النفس على الطاعة ، وتهيئتها للفرائض .

سادساً : شغل الوقت بأفضل الطاعات .

سابعاً : الإقتداء بالرسول ﷺ .

٣-التطوع ينقسم إلى قسمين :

أولاً : تطوع مطلق .

وهو الذي لم يأتِ به الشارع بحد .

مثال : صدقة التطوع ، لك أن تتبرع في سبيل الله بما شئت ، ولك أن تتطوع بالصلاة في الليل والنهار مثنى مثنى .

ثانياً : التطوع المقيد .

وهو ما حد له حد في الشرع .

مثال : سنة الفجر .

٤-الحديث دليل على علو همة ربيعة ، وهكذا المسلم ينبغي أن يكون عالي الهمة .

وقد حث القرآن والسنة على علو الهمة :

قال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم) .

وقال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين) .

وقال تعالى (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُون) .

وقال تعالى (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون) .

وقال ﷺ : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) .

وقال ﷺ : (لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه) .

وقال ﷺ : (لأعطين الراية رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها ، حتى قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : (قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي ، قال : إن شئت صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، قالت : أصبر ، قالت : إني أتكشف ، فادع الله ألا أتكشف ، فدعا لها) متفق عليه

ومما يدل على علو همتهم وتسابقهم في الخيرات : ففي سنن أبي داود : (أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله ﷺ : قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعط) . رواه أبو داود

٥-اختلف العلماء في أفضل التطوعات على أقوال :

القول الأول : الجهاد في سبيل الله .

وهذا المذهب .

قال أحمد : لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد .

قال ابن تيمية : الجهاد أفضل ما تطوع به الإنسان ، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ، ومن صلاة التطوع ، والصوم التطوع ، كما دل عليه الكتاب والسنة .

أ-لقوله ﷺ (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) .

ب-وغيره من الأحاديث ، كقوله ﷺ : (مثل المجاهد في سبيل الله ، كالقائم الذي لا يفتر ، وكالصائم الذي لا يفطر) .

القول الثاني : العلم وتعليمه .

وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك .

أ-لنفعه المتعدي .

ب-ولقوله ﷺ : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) رواه الترمذي .

القول الثالث : أن أفضل ما تطوع به هو الصلاة .

وهذا مذهب الشافعي .

لحديث الباب .

قال ابن تيمية في رده على الرافضي بعد أن ذكر تفصيل أحمد للجهاد ، والشافعي للصلاة ، وأبي حنيفة ومالك للعلم : والتحقيق أنه لا بد لكل من الآخرين ، وقد يكون كل واحد أفضل في حالٍ ، كفعل النبي ﷺ وخلفائه ، بحسب المصلحة والحاجة .

وقال : وأفضل الجهاد والعمل الصالح ما كان أطوع للرب ، وأنفع للعبد ، فإذا كان يَضُرُّه ويمنعه مما هو أنفع منه لم يكن ذلك صالحاً .

وقال : ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع ، ولصاحبه أنفع ، وقد يكون ذلك أيسر العملين ، وقد يكون أشدهما ، فليس كل شديد فاضلاً ، ولا كل يسير مفضولاً ، بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد ، فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة لا لمجرد تعذيب النفس ، كالجهاد الذي قال فيه تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَر) .

٦-أن النبي ﷺ لا يملك لأحد أن يدخله الجنة .

٧-حرص الصحابة على الفوز بمرافقة الرسول ﷺ في الآخرة .

٨-قوله (مرافقتك) المراد القرب منه ﷺ ، لا أن يساويه في المنزلة .

٩-اجتهاد النبي ﷺ في إصلاح أصحابه وترتيبهم .

١٠-أن أفضل الطاعات تحقيق العبودية .

١١-أن نظر الصحابة إلى الآخرة .

١٢-الصحابي ربيعة بن كعب أحد المتشرفين بخدمة النبي ﷺ ، وكان يبيت عند النبي ﷺ يأتيه بوضوئه ، فأراد النبي ﷺ أن يكافئه على عمله وخدمته .

ففيه كرم النبي ﷺ بمكافأة هذا الصحابي ، وقد قال ﷺ : (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه) .

١٣-جواز استخدام الرجل الحر .

١٤-الجنة إنما تنال بمجاهدة النفس في الطاعة .

١٠٨-الرابع عشر : عن أَبي صَفوان عبد الله بنِ بُسْرٍ الأسلمي ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ)) رواه الترمذي ، وَقالَ : ((حديث حسن)) .

« بُسْر » بضم الباء وبالسين المهملة .

(عن أَبي صَفوان عبد الله بنِ بُسْرٍ الأسلمي)

١- الحديث دليل على فضل من طال عمره وحسن عمله .

وإحسان العمل : اتقان العمل إخلاصاً ومتابعة .

قال ابن رجب : والحامل على ذلك أن يعبد العبد ربه كأنه يراه .

وعلم ﷺ معاذاً أن يقول (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

وقد وصى ﷺ رجلاً أن يصلي صلاة مودع ، يعني يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى ، فيحمله على ذلك إتقانها وتكميلها وإحسانها .

وقد وردت أحاديث فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل .

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا)

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا) متفق عليه .

وعن عثمان . قال : قال ﷺ (من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ...) رواه مسلم .

وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه ، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان .

قال بعض السلف : إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض .

وقال بعض السلف : لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟ يشير إلى قوله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) .

وقد جاء في صحيح مسلم قال ﷺ (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدْعُ به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً) .

وجاء في حديث (وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة) .

– قال ابن رجب : وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بفضيلة طول العمر في الطاعة .

ففي الترمذي ، أنه ﷺ سئل : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، وسئل : أي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله .

قيل لبعض السلف : طاب الموت ، قال : يا ابن أخي ، لا تفعل ، لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير من موت الدهر .

وقيل لشيخ كبير منهم ، أتحب الموت ؟ قال : لا ، قد ذهب الشباب وشره ، وجاء الكبر وخيره .

وقيل لشيخ آخر : ما بقي منك مما تحب له الحياة ؟ قال : البكاء على الذنوب .

ولهذا كان كثير من السلف يبكي عند موته تأسفاً على انقطاع أعماله الصالحة .

كان يزيد الرقاشي يقول عند موته : يا يزيد من يصلي لك بعدك ، ومن يصوم ، ومن يتوب لك من الذنوب السالفة .

ولهذا يتحسر الموتى على انقطاع أعمالهم الصالحة .

ففي الترمذي عن النبي ﷺ (ما أحد يموت إلا ندم : إن كان محسناً أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً أن لا يكون استعتب).

(شرح حديث عمار لابن رجب) .

وقال رحمه الله : ... فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيراً ، و من كان كذلك فالحياة خير له من الموت .

و في دعاء النبي ﷺ (اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، و الموت راحة لي من كل شر)خرجه مسلم .

وفي الترمذي عنه ﷺ أنه سئل : أي الناس خير ؟ قال (من طال عمره و حسن عمله قيل : فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره و ساء عمله)

و في المسند و غيره (أن نفرا ثلاثة قدموا النبي ﷺ فأسلموا فكانوا عند طلحة فبعث النبي ﷺ بعثاً فخرج فيهم أحدهم فاستشهد ثم بعث بعثاً آخر فخرج منهم فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة : فرأيتهم في الجنة فرأيت الميت على فراشه أمامهم و رأيت الذي استشهد آخراً يليه ، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال : وما أنكرت من ذلك ، ليس أفضل عند الله عز و جل من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه و تكبيره و تهليله) .

وفي رواية قال (أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى قال : و أدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى قال : و صلى كذا وكذا

سجدة في السنة ؟ قالوا : بلى قال : فلما بينهما أبعد ما بين السماء و الأرض) .

و لهذا كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم عنهم بالموت .

بكى معاذ عند موته و قال : إنما أبكي على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

وبكى عبد لرحمن بن الأسود عند موته وقال : وا أسفاه على الصوم و الصلاة ولم يزل يتلو القرآن حتى مات .

وبكى يزيد الرقاشي عند موته وقال : أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى .

وجزع بعضهم عند موته وقال : إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم ، ويصلي المصلون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم فذلك الذي أبكاني .

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة وبركعة ، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك فلا يقدرون على ذلك ، قد حيل بينهم و بين العمل ، غلقت منهم الرهون .

رؤي بعضهم في المنام فقال : ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل ، وأنتم تعملون و لا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أوركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها .

قال بعض السلف : كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة .

وقال بعضهم : بقية عمر المؤمن لا قيمة له يعني أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة ، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح ، فأما من فرط في بقية عمره ، فإنه خاسر فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين ، الأعمال بالخواتيم من أصلح فيما بقي غفر له ما مضى ، ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى .

١٠٩-الخامس عشر : عن أنس ﷺ ، قَالَ : غَابَ عَمّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ﷺ عن قِتالِ بدرٍ ، فَقَالَ : يَا رسولَ الله ، غِبْتُ عَنْ أوّل قِتال قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِن اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشركِينَ لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ . فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمونَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ – يعني : أصْحَابهُ – وأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ – يَعني : الْمُشركِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ ، فَقَالَ : يَا سعدَ بنَ معاذٍ ، الجَنَّةُ وربِّ الكعْبَةِ إنِّي أجِدُ ريحَهَا منْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سعدٌ : فَمَا اسْتَطَعتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ ! قَالَ أنسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمانينَ ضَربَةً بالسَّيفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكونَ فما عَرَفهُ أَحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أنس : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أن هذِهِ الآية نزلت فِيهِ وفي أشباهه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] إلَى آخِرها . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

قوله : « **لَيُرِيَنَّ اللهُ** » روي بضم الياء وكسر الراء : أي لَيُظْهِرَنَّ اللهُ ذلِكَ للنَّاس ، وَرُوِيَ بفتحهما ومعناه ظاهر ، والله أعلم .

(**عن قِتالِ بدرٍ**) وفي رواية (فكبر عليه ذلك) .

(**غبْتُ عَنْ أوّل قِتال**) أي : لأن بدراً أول غزوة خرج فيها النبي ﷺ بنفسه مقاتلاً ، وقد تقدمها غيرها لكن ما خرج فيها ﷺ بنفسه مقاتلاً .

(**لَئِن اللهُ أشْهَدَنِي**) أي : أحضرني .

(**لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ**) مراده أن يبالغ في القتال وعدم الفرار .

(**انْكَشَفَ الْمُسْلِمونَ**) أي : انهزموا .

(**ثُمَّ تَقَدَّم**) أي : نحو المشركين .

(**إنِّي أجِدُ ريحَهَا منْ دُونِ أُحُد**) أي : ريح الجنة ، قال ابن بطال : يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريح الجنة حقيقة ،

أو وجد ريحاً طيبة ذكره طيبها بطيب ريح الجنة ، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التي أعدت للشهيد ، فتصور أنها في ذلك الموضع الذي يقاتل فيه .

وقال النووي : هو مَحْمُول عَلَى ظَاهِره ، وَأَنَّ اللَّه تَعَالَى أَوْجَدَهُ رِيحهَا مِنْ مَوْضِع الْمَعْرَكَة ، وَقَدْ ثَبَتَتْ الْأَحَادِيث أَنَّ رِيحهَا تُوجَد مِنْ مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام .

١- الحديث دليل على فضل أنس بن النضر ، حيث جاهد نفسه وقاتل يوم أحد حتى قتل ، مع انهزام كثير من المسلمين .

٢- جواز بذل النفس في الجهاد .

٣- فضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها .

٤- أن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء إلى التهلكة .

٥-فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين .

١١٠-السادس عشر : عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيءٍ كَثيرٍ ، فقالوا : مُراءٍ ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ، فقالُوا : إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا ! فَنَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، هذا لفظ البخاري.

وَ« نُحَامِلُ » بضم النون وبالحاء المهملة : أي يحمل أحدنا عَلَى ظهره بالأجرة ويتصدق بِهَا .

(**لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدَقَةِ**) وهي قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة ...) .

(**كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا**) أي : نحمل على ظهورنا بالأجرة ، ونتصدق من تلك الأجرة ، أو نتصدق بها كلها .

(**فقالوا : مُراءٍ**) أي : ما فعل هذا إلا إظهاراً لصدقته للناس ليروه .

(**فَنَزَلَت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ**) أي : يعيبون .

(**الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) وهم الذين يغزون بغير استعانة برزق من سلطان أو غيره .

(**وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ**) معطوف على (الْمُطَّوِّعِينَ) .

١- الحديث دليل على فضل الصدقة والحث عليها ، وقد تقدم فضل الصدقة .

٢-مشروعية حث الإمام الناس على الصدقة .

٣- بيان ما كان عليه الصحابة من المسارعة في الخيرات ، كل على حسب حاله .

٤- خطر المنافقين ، وسوء طويتهم ، وأنهم يلمزون المؤمنين ويعيبونهم .

١١١- السابع عشر : عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أَبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر جندب بن

جُنادة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ فيما يروي ، عن اللهِ تَبارَكَ وتعالى ، أنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحَرَّماً فَلا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ ضَالّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أهْدِكُمْ . يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُوني أكْسُكُمْ . يَا عِبَادي ، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيلِ وَالنَّهارِ وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفعِي فَتَنْفَعُوني . يَا عِبَادي ، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلِكَ في مُلكي شيئاً . يَا عِبَادي ، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ من مُلكي شيئاً. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوني فَأعْطَيتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلاَّ كما يَنْقصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ . يَا عِبَادي ، إِنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ » .

قَالَ سعيد : كَانَ أَبُو إدريس إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديث جَثا عَلَى رُكبتيه . رواه مسلم .

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، قَالَ : لَيْسَ لأهل الشام حديث أشرف من هَذَا الحديث .

(**الظلم**) وضع الشيء في غير موضعه .

(**فاستهدوني**) اطلبوا مني الهداية .

(**صعيد واحد**) أرض واحدة .

(**المخيط**) الإبرة .

(**أحصيها لكم**) أضبطها لكم .

١-الحديث دليل على عظيم رحمة الله بعباده ورفقه بهم حيث ناداهم بهذا اللفظ (يا عبادي) المشعر بالرحمة والرفق .

٢- أن لفظ (يا عبادي) فيه تذكير للعباد بالحكمة التي من أجلها خلقوا وهي عبادة الله .

قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) .

وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) .

وقد امتدح ربنا جل وعلا نبيه ﷺ وأثنى عليه ووصفه في أشرف مقاماته بوصف العبودية :

فقال سبحانه في الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) .

وفي مقام الدعوة قال سبحانه (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) .

وفي مقام التحدي قال سبحانه (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) .

٣- تحريم الظلم على الله ، مع قدرته سبحانه وتعالى عليه .

كما قال تعالى (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

وقال تعالى (ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ) .

وقال تعالى (ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ) .

وقال تعالى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً) .

وقال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً) الهضم : أن يُنقص من جزاء حسناته ، والظلم :

أن يعاقب بذنوب غيره .

- قال ابن رجب : وهو مما يدل على أن الله قادر على الظلم ولكنه لا يفعله فضلاً منه وجوداً ، وكرماً وإحساناً إلى عباده .
- وقال الشيخ ابن عثيمين : وإنما قلنا مع قدرته عليه ، لأنه لو كان ممتنعاً على الله لم يكن ذلك مدحاً ولا ثناءً ، إذ لا يثنى على الفاعل إلا إذا كان يمكنه أن يفعل أو لا يفعل .

٤- أن الله لا يظلم لكمال عدله ، وهكذا كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت ضده .

كقوله تعالى (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) لكمال عدله .

وقوله تعالى (لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ) لكمال علمه ، لا يعزب : لا يغيب .

وقوله (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) لكمال قيوميته وحياته .

٥- تحريم الظلم بين الناس وذلك من وجهين :

الأول : أن الله عز وجل حرمه على نفسه ، فإذا كان محرماً على الله مع كمال قدرته وسعة ملكه فحرمته على العبد أولى لظهور عجزه ونقص ملكهِ .

والآخر : أن الله جعله بيننا محرماً ، فنهى عنه نهي تحريم .

والظلم ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : الشرك ، وهو أعظم الظلم .

قال تعالى عن لقمان (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ، فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق ، فعبده وتألهه ، فوضع الأشياء في غير موضعها ، وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون كما قال تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

القسم الثاني : ظلم العبد نفسه بالمعاصي .

قال تعالى (فمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه) .

القسم الثالث : ظلم العباد بعضهم بعضاً ، وهو المذكور في هذا الحديث .

قال تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .

وهذا القسم هو المقصود بالحديث لقوله (فلا تظالموا) .

وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم الظلم :

قال رسول الله ﷺ (إن الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه .

وقال ﷺ (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا) متفق عليه

وقال ﷺ (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) متفق عليه .

وقالﷺ (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يأخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه ، فطرحت عليه) رواه البخاري .

والظلم ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : منع ما يجب لهم من الحقوق وهو التفريط ، **والثاني** : فعل ما يضر به وهو العدوان .

٦- الحديث دليل على وجوب العدل في جميع الأمور ، (وللعدل فضائل ستأتي قريباً إن شاء الله)

٧- الحديث دليل على أن الإنسان ضال إلا من هداه الله .

٨- يجب سؤال الله الهداية ، وقد أمرنا الله أن نسأله إياها في أعظم سورة .

قال تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

وكان رسول الله ﷺ يقول (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) رواه مسلم .

وكان يقول أيضاً (اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) .

وعلم الحسن أن يقول في الدعاء (اللهم اهدني فيمن هديت) .

وأمر علياً أن يسأل الله السداد والهدى .

قال ابن القيم : فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

٩- يجب على المسلم أن يعمل بأسباب الهداية وأن يحرص عليها .

قال ابن القيم : ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ، ونيله أشرف المواهب ، علّم الله عباده سؤاله ، وأمرهم أن يقدموا بين يده حمده والثناء عليه ، وتمجيده ، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم .

١٠- الحذر من الأسباب التي تعيق الإنسان عن الهداية .

قال ابن القيم : ولينظر إلى الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط ، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه .

١١- بطلان قول من يقول : إذا كنا مهتدين ، فكيف نسأل الهداية ؟

لأن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم ، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه ، وما لا نقدر عليه – مما نريده – كذلك ، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله ، أمر يفوق الحصر .

١٢- قوله (كلكم ضال إلا هديته ، .. كلكم جائع إلا من أطعمته) هذا يقتضي غنى الله سبحانه وتعالى ، وأن العباد كلهم مفتقرون إلى الله في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم ، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله ، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق ، فإنه يُحرمهما في الدنيا ، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أَوْبَقَتْه خطاياه في الآخرة .

قال تعالى (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

وقال تعالى (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً) .

وقال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) .

وقال تعالى (فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ) .

وقد استدل إبراهيم الخليل عليه السلام بهذه الأمور على أنه لا إله غيره ، وأن كل ما أشرك معه باطل ، فقال لقومه (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) فإن من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه وإحيائه وإماتته في الدنيا ، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة ، مستحق أن يتفرد بالإلهية والعبادة والسؤال والتضرع إليه والاستكانة له قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

١٣- الحديث دليل على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك كما يسألونه الهداية والمغفرة .

وفي الحديث قال ﷺ (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شِسع نعله إذا انقطع) .

وقال ﷺ (من لم يسأل الله يغضب عليه) رواه ابن ماجه .

واستحق الغضب لأمرين :

الأول : لأنه ترك محبوباً لله ، فإن الله يحب أن يسأل ، ذكر ذلك المناوي .

والثاني : لأنه ترْك الدعاء دليل على الاستغناء عن الله ، ذكر ذلك المباركفوي .

١٤- إثبات غنى الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

١٥- أن ابن آدم كثير الخطأ .

كما قال تعالى (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) .

وقال ﷺ (كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي .

وفي حديث الباب (.. إنكم تخطئون بالليل والنهار ..) .

١٦- كرم الله وإحسانه حيث دعا عباده ــ مع ظلمهم بالمعاصي والذنوب ــ إلى عفوه وغفرانه .

فقال تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وقال سبحانه (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وقال سبحانه (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) .

١٧- وجوب الاستغفار من الذنوب كلها لقوله (فاستغفروني أغفر لكم) .

قال تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .

وقال تعالى (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) .

وقال سبحانه (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) .

وقال ﷺ (أني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم .

وقال ﷺ (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري .

والاستغفار يكون على وجهين :

الوجه الأول : طلب المغفرة بلفظ : اللهم اغفر لي ، أو أستغفر الله .

الوجه الثاني : طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك .

١٨- كمال سلطان الله وغناه عن خلقه لقوله عز وجل (إنكم لن تبلغوا ضري ... ولن تبلغوا نفعي) .

- قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : وذلك لكمال سلطانه عز وجل وكمال غناه ، فكأنه تعالى قال : إنما طلبت منكم الاستغفار من الذنوب لا لحاجتي لذلك ولا لتضرري بمعاصيكم ولكن المصلحة لكم .
- قال ابن رجب رحمه الله : يعني أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضراً ، فإن الله تعالى في نفسه غني حميد ، لا حاجة له بطاعات العباد ، ولا يعود نفعها إليه ، وإنما هم ينتفعون بها ، ولا يتضرر بمعاصيهم وإنما هم يتضررون بها .

قال تعالى (وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً) .

وقال تعالى (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً) .

وقال تعالى (وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) .
وقال تعالى (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .
والمعنى : أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشد من فرح من ضلت راحلته التي عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض ، وطلبها حتى أعيي وأيس منها ، واستسلم للموت ، وأيس من الحياة ، ثم غلبته عينه فنام ، واستيقظ وهي قائمة عنده ، وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح ، هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم إليه ، وإنه إنما يعود نفعها إليهم دونه ، ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ، ومحبته لنفعهم ودفع الضر عنهم .

١٩- قوله (يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل ...) في هذا إشارة إلى أن ملك الله لا يزيد بطاعة الخلق ، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء قلوبهم على أتقى رجل منهم ، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين ، ولو كان الجن والإنس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على أفجر رجل منهم ، فإنه سبحانه الغني بذاته عما سواه ، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ، فمُلكُه ملكٌ كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان .

٢٠- قوله (يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي ...) في هذا كمال ملك الله وكمال قدرته ، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ بالعطاء ، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد .
ففي الصحيحين عن أبي هريرة . عن النبي ﷺ قال (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لن يغيض ما في يمينه) .
وقال تعالى (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) .
٢١- قوله ﷺ (فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلزمن إلا نفسه) له معنيان صحيحان :
الأول : أن من وجد خيراً في الدنيا فليحمد الله على ما عجّل له من جزاء عمله الصالح ، ومن وجد غير ذلك فهو مأمور بلوم نفسه على الذنوب التي وجد عاقبتَها في الدنيا .
والثاني : أن من وجد خيراً في الآخرة فإنه يحمد الله عليه ، ومن وجد غيره فإنه يلوم نفسه ولات حين مندم .
٢٢- أن الله يحصي أعمال العباد ويضبطها ، فلا يظلم عنده أحد .
قال تعالى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .
وقال تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) .
وقال تعالى (ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) .
وقال سبحانه (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) .
وقال سبحانه (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) .
٢٣- أن الله يوفي عباده يوم القيامة على حسب أعمالهم فلا يظلم عنده أحداً
قال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .
وقال تعالى (مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ) .
٢٤- وجوب حمد الله على من وجد خيراً ، لأن الله يسرها عليه ، ثم أثابه عليها .

٢٥- حفظ الله للأعمال .

٢٦- الجزاء من جنس العمل .

٢٧- محاسبة النفس على التفريط .

والله أعلم ،،،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

الشيخ/ سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء